الوردة المستحيلة

سعدي يوسف

مدن في دمشق :
انتسبتْ الى بعضها
وتناسبت في بعضها
وتناسيت بعضا .
مدن في دمشق التي تمنح السرّ أرضا .

●

أمس ، في الجامع الاموي، استندت الى الخالق الفرد.
هذا الرخام الذي يستدقّ الى أن يشارفني ، ويفور
الى أن أشارفه ...

أمس ، في الجامع الاموي ، وفي فيء سجادة ، كنت
أقرأ أسماء من سقطوا يحفرون الخنادق حول المدينة .
أقرأ أسماء من نحتوا في صخور الربيئة أجسادهم .
كنت في الجامع الاموي ، وحيدا . يظللني سقفه
المطمئن الثريات ...

يدنو جناح ويسألني : « هل رأيت الحجر ؟
هل تقريت هذي الخشونة في حجر الجامع الاموي ؟
وهل غرزت مقلتا زينب زهرتين على راحتيك ؟

وهل كنت مستوحدا حين أغفيت :
ظهرك لصق العمود
وعيناك لصق الحدود ؟ »

●

منذ عشرين عاما وعامين
لي منزل بدمشق العتيقة .
جدرانه راحتاي
وأشجاره لهفتي .

منزل في دمشق العتيقة
حاذرت أن يطأ العابر المتعجل أعتابه ،
أو يراه المتاجر ،
أو تدعيه الغيوم الجديدة .
انه الآن يمشي معي
في البلاد التي كرهت
والبلاد التي هويت
والبلاد التي لا أراها .

●

من يكون الملوّح بالنار في زمن القمة العاريه ؟
من يكون الصديق الذي لا يغادرني
عند أول منعطف ؟
من تكون الفتاة التي تتآمر لي ؟
من يكون الفتى ؟
من تكون دمشق التي تتبرج في ليلها ؟
من نكون ؟
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
هل أتى حبنا الصعب ؟
هل آذنت . بعدنا ، الوردة المستحيلة ؟
هل آذنت مدن في دمشق :
انتسبتْ الى بعضها
وتناسبت في بعضها
وتناسيت بعضا ؟

دمشق ـ آذار ١٩٧٩